

محمد رسول الله

للأستاذ علي الطنطاوي

ومن المعلوم أن أقوى طرق القصر عند علماء البلاغة هو
النفي والإثبات ، ولذلك كانت كلمة التوحيد ، لا إله إلا الله :
نفي الألوهية عن الجميع وإثباتها لله وحده

وهذه القصيدة الأخرى ، التي كان مشايخنا ... يتبركون
بها ، ويتأدبون عند تلاوتها . قصيدة (ما أرسل الرحمن أو
يرسل) ، يقول صاحبها غاطبا النبي صلى الله عليه وسلم
عجل ياذهاب الذي أشتكى فإن توقفت فن أسأل ؟
وأصرح من ذلك قول الشيخ عبد المجيد الخاني ، مؤلف
الحقائق الوردية :

رسول الله لي بصر كلي وأنت بكل أحوالي بصير
رسول الله مالي من نصير سواك الدهر يا نعم النصير
لعمرك يا أجل الرسل إني لما أزلت من خير فقير
فإن أدركتني بخفي لطف فدهري لا يضر ولا يضير
هل يشك أحد من يفهم الكلام العربي ، بأن هذا الرجل
يؤله محمداً ، ويعبده ، ويخاطبه بما جاء في القرآن خطاباً لله عز وجل
(رب إني لما أزلت إلى من خير فقير) ؟

والأحاديث الصحيحة ، قد بينت أنه صلى الله عليه وسلم
ولد وربى كما يولد ويربى لداته من أبناء قريش إلا أن الله عصمه
من عبادة الأصنام ، ومن الكذب والنسب وسائر شرور اللسان
والقلب ، وجعله على خلق عظيم لم يحمل عليه بشراً غيره في كل
عصور البشرية ، وتأتى مع ذلك هذه الموالد التي يتلوها الناس ،
وأشهرها مولد العروس عند العامة ، ومولد البرزنجي عند الخاصة ،
وكلاهما عمو بالكنب ، فتجمل الوحوش تتباشر بولادته ،
بأفصح الألسن القرشية ... وأنه حضر أمه ليلة مولده آسية
ومريم في نسوة من الخطيرة القدسية ... وأن جده وأمه كانا
يعرفان بأنه خاتم الأنبياء ، مع أنه هو صلى الله عليه ، لم يكن
يدري ما الكتاب ولا الإيمان ، وأنه لما جاءه الوحي ذهب يقول
زملوني ، ذروني ، حتى أخبره ورقة أن هذا هو الناموس الذي
كان ينزل على موسى

وجنح السليمان لا يستند أن الرسول حيث ، ويراها حيا في

كتب كتاب في الرسالة عن الرسول صلى الله عليه وهل
كان يعلم الغيب أم أن النبي شيء قد اختص الله نفسه بملءه .
فكثرت كلمة صغيرة لتنتشر في البريد الأدبي ، ثم رأيت أن الأمر
أكبر من ذلك وأنه لا يكفي فيها تحقيق هذه الجزئية ؛ بل لابد من
تصحيح عقيدة كثير من المسلمين بالنبي صلى الله عليه وسلم
إن القرآن بين بيانا صريحا لا لبس فيه ولا غموض ، ولا
جبال لتأويل ولا تبديل ، بأنه صلى الله عليه وسلم بشر يوحى إليه ،
فهو في ولادته وفي منشئه وفي صحته وفي سقمه ، وفي حياته وفي
موته ، بشر كسائر البشر ، وإن كان الله قد اختصه بأسمى الصفات
(البشرية) في الخلق والطبع والسلوك والمواهب ، وأنه فوق ذلك
يوحى إليه كما كان يوحى إلى الأنبياء من قبله ، ولا يوحى أبداً
لأحد من بعده ، لا لإمام من أئمة آل البيت ، ولا لمنتهى ولا لدع
الميسوية في قاديان . هذه هي العقيدة الصحيحة ، فهل المسلمون
كلهم عليها ؟

إن كثيرين من المسلمين ، ولا سيما من يدعى التصوف منهم
يرفعون النبي صلى الله عليه وسلم فوق البشر ، ويصفونه بصفات
الألوهية ، والأدلة على ذلك لا تعد ولا تحصى ، وأنا أمثل على
ذلك بقصائد تتلى صباح مساء ، ويتبرك الناس بها ، ويظنون
أنهم يتقربون إلى الله بتلاوتها وإنشادها ، وفيها الكفر الصريح .
الذي يعد كفر المشركين من قريش إن قيس به إيماننا ، فكفار
قريش كانوا إن ركبوا الفلك ، ودهمهم الشدايد دعوا الله ، كما
أخبر بذلك القرآن ، والبوصيري صاحب قصيدة (البردة) التي
يتلوها المسلمون خاشعين كأنهم يتلون القرآن ، يقول للنبي صلى
الله عليه :

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث المم

قبره مثل حياتنا، حتى أنه كان في حيننا (في المهاجرين - في دمشق) خطيب كان يقول في خطبته مسجماً : « قال صلى الله عليه وسلم وهو في قبره حي : البخيل من ذكرت عنده ولم يصل علي، وناقشه بعض طلبة المدارس . فأكد لهم أنه حي في قبره ، وأن فلانا (ومشايع الطرق) ، وقف عند القبر ، وقال من قصيدة :

« فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي »

قال : نخرجت اليد الشريفة من جدار القبر حتى قبلها وأمثال هذه الأكاذيب التي لا يقرها عقل ولا قل، ولا يقبلها شرع ولا طبع

والله يقول للرسول : (إنك ميت) ونحن ننكر موته، فقيم إذق قرأ السيرة . ونقول إنه ولد سنة كذا . ومات سنة كذا ؟ وفيه نصب الخلفاء من بعده ؟ ولماذا لم يرجعوا إليه يوم اختلفوا في السقيفة وكاد ينصدع أمر الإسلام ، وهو مسجى لم يدفن بعد؟ إنه حي عند الله حياة برزخية روحية الله أعلم بها - أما بالنسبة إلينا فهو ميت - قد ملت ودفن كما يموت سائر الناس ويدفنون ، وإن كان قد ورد أن الأرض لنا كل أجساد الأنبياء ، وأن الله يوكل ملكاً يسمه (السلام عليه ، أو يرد عنه . وهذه كلمة وإن صح طريقها إخبار آحاد ، لا تثبت بها عقيدة - ولا يبنى عليها علم ، كما هو معروف من علم الأصول

والغريب في المعجزات أنك إن رجعت إلى كتب الصحاح وإلى السير الأولى كسيرة ابن إسحق ، لم تجد إلا شيئاً منها قليلاً، فإن ذهبت إلى الكتب المتأخرة كالسيرة الحلبيه مثلاً وجدتها فياضة بذكر العشرات من المعجزات التي لم يكن لها ذكر في الكتب الأولى . ونحن لا ننكر المعجزات ، ولكننا نجد في القرآن ما يرد على طالبي الآيات من المشركين ، بأن القرآن هو الآية الكافية التي لا تحتاج إلى شيء معها

ومن المسلمين من يجعل الثنات والرؤى أصلاً من أصول الشرع ويبنى عليها أحكاماً وأوهاماً ويتخذها سبيلاً إلى اجتلاب النافع ، ودرء المفاسد ، ويستندون إلى حديث « من رأى فقد رأى »

حقاً « مع أن العلماء قد نصوا على أن الشرط في ذلك أن يراه على الصورة التي وصف بها في كتب الحديث وفي الشماثل . ولا يبنى على الرؤيا مع ذلك حكم شرعي

هذا وأنا لا أذكر درجة هذا الحديث - وليس تحت يدي وأنا أكتب هذا الفصل شيء من الكتب أرجع إليه وليس عندي وقت للمراجعة

وبعضهم يخالف ما عليه الإسلام من جهة تقديس أسرته ، وتفضيلهم بمجرد النسب ، مع أن الفضل في الإسلام للتقوى والمزايا الشخصية . والنبي صلى الله عليه وسلم يقول لابنته فاطمة : « يا فاطمة بنت محمد ، لا أغني عنك من الله شيئاً » ويحتجون بآية (إلا الودة في القربى) جاهلين معناها ومساقيها

وآخرون من المسلمين يظنون أنهم يعبدون الرسول ويعظمونه ، بوصفه بأنه جميل الوجه ، ومدح عيني وجهه ، وذكر العشق والوصال ؛ وينشدون في ذلك الأناشيد في الإذاعات - أيام اللوامة - ويسمونها أناشيد دينية ، وما هي إلا تقليد للترتيلات الكنسية النصرانية. وقلة أدب مع الرسول ، ولا أصل لها في الإسلام ولا يرضى بها الشرع ولا الذوق ولا الأخلاق . ويجب شرعاً منع إذاعتها

هذا وقد نجحت طائفة من شباب المسلمين . . . تنكر الوحي وترى النبي صلى الله عليه وسلم عبقرية فقط ، وبعضهم ينسب العبقرية للشعب العربي ، ويرى بأن الرسول أثر لها - وكل هذا اتباع للمستشرقين والملحدين ، وبعض التنصاري من أتباع الأجانب الذين أفسدوا الإسلام في بلاد الشام باسم القومية العربية ، والانتصار لها والدفاع عنها . . . وسنفصل الكلام في العربية والإسلامية في مقال آخر إن شاء الله

وبعد فإن من أوجب الواجبات على العلماء والخطباء وأرباب الأتلام الإسلامية ، أن يردوا أتباع محمد إلى العقيدة الصحيحة في سيدنا محمد صلى الله عليه ، الذي كان بشراً يوحى إليه ، ولم يكن إلهاً يعبد - ولا جيلاً يمشي ، ولا نابئة عبقرية فقط

على الطنطاوي